الشاعر بدل رفو وأطفال الهند علموني

عصمت شاهين دوسكي

كوردستان

الشاعر الرحال بدل رفو ليس غريبا عني ، منذ زمن بعيد ، أيام شارع الفاروق وحظيرة السادة وشارع ألنجفي والدواسة في الموصل بتلك الأزقة الشعبية البسيطة ، حيث كنا نلتقي في دار الفنان التشكيلي المبدع سالم كورد المقيم في السويد ، كان بدل رفو نشيطا طموحا لبقا يتقد تصرفا وسلوكا وذكاء إلى حد يحسده أقرب الناس إليه ، فقد تراه في كل مجال فني وأدبي ، الصحافة كمراسل صحفي ، المسرح لانتمائه لفرقة فلكلورية ، وقناة تلفزيونية كمقدم برامج ، إضافة إلى كتابته الشعر وترجمته إلى لغات مختلفة ، كان رحالا محليا داخل العراق موصل بغداد دهوك اربيل سليمانية والمناطق الجنوبية ، كافح من أجل أن يصل إلى حلم ما ، ومهما كانت افتراضات الآخر يسمعها لكن لا تهمه ، المهم ما يحلم فيه ، بدل رفو أديب عصامي اعتمد على نفسه ، حرم نفسه في بداية حياته من كثير من الأمور البراقة التي كان يتظاهر فيها من كان في مكانته ، فكان حلمه أوسع من المظاهر التي تكون نتائجها مخادعة ، وظف فكره وإحساسه من اجل عالم إنساني أوسع ، وكرس حياته المتعبة ، الصعبة ، لزمان ومكان أجمل ، وهيأت له الحياة أن يخرج بعيدا عن السرب المحلي متوجها إلى حلمه الاستثنائي ، ورغم المعاناة والمكابدات والآلام والجوع والحرمان إلا إنه تحمل وصبر ، كيف لا وهو الإنسان المتوقد وعيا راقيا وإحساسا ناضجا وفكرا رائدا ، شاعر يعرف ماذا يريد وكيف يصل إلى ما يريد ، ومع الزمن أصبح رحالا في مدن المهجر لا مكان يستقر فيه ولا زمان يعتب عليه ، سافر إلى أغلب دول العالم وكتب عنها

ودون آثارها وجمالها وحداثتها التكوينية ، مظهر جميل هو وجعبته في ظهره وعدسة كامرته كأميرته ، حملها أينما رحل ، هذا الثلاثي الجميل يحاور كل الأشياء فيستجيب له المكان الطبيعة ، البحر والشجر والصخر .

بدل رفو الشاعر والإنسان من المعاني الراقية التي ضمها كتابي " بدل رفو سندباد القصيدة الكوردية في المهجر " عن عوالم رحلاته الرائعة وأشعاره الإنسانية السامية ، ربما أكون أكثر من كتب عن بدل رفو كرؤية إنسانية وفكرية وإبداعية ، لكن ما زال الكثير لم يكتب عنه بعد ، لأن حياته المميزة فيها الكثير ، فهو يحمل حضارة وطنه وجمع حولها حضارات العالم ، عشق الكلمة بيئته وموطنه الروحي ، ومحراب شعره يضم رؤى فسيحة لهذا العالم الكبير ، وفي معاينة روح المأساة والجراحات التي يعاني منها أبناء جلدته وتراب ولادته جعلته أجرأ أديب وشاعر ، رغم تناقض الآراء وتقاطع الأصوات فإنه يسير في سبل مؤدية إلى الحقيقة الإنسانية التي تتجلى يوما بعد آخر ، خلالها تظهر الخدع السينمائية الديمقراطية والحرية المزيفة في تجلى وطن كان اسمه وطن ليغدو كذبة تاريخية خلف أقنعة إنسانية بلا خجل وحياء تدير أحوال الناس بل بمعجزة الله تدار ، الناس البسطاء الذين يحيون تحت وطأة الخيام وحر الصيف وبرد الشتاء ، ورغم هذا التضاد الفكري والروحي والصراع الثقافي بين الوجود ولا وجود لا ينسى صلات القربى في الفكر والأدب والفن لتدخل في عوالم أرحب من مجرد وجود ، فلا بد من التناغم الفكري والتجاوب الروحي بين التجارب العالمية والمحلية ،

الشاعر بدل رفو في مجموعته " أطفال الهند علموني " يجسد حقيقة الولادة النقية ، حقيقة الميلاد الصادقة ، حقيقة خلاص الإنسان بالإنسانية ، تجاربه الثرية في الترحال والشعر أغنت المكتبة المحلية والعالمية بكتب أدبية مترجمة وكتب شعرية من رحم المأساة الإنسانية والواقع الثقافي والفني .

" أطفال الهند علموني " ليس مجرد عنوان لمجموعته الشعرية بل ترسيخ للمعاني الاجتماعية والفكرية والروحية ، وإن كانت برؤية واسعة تجسد سيرة ثقافية ذاتية للشاعر من خلال طاقة من الصور الشعرية لجوانب عديدة من رحلاته العالمية .